@ 72 @ ليس البرّ ، وما ينبغي أن يكونوا عليه ، بأن تعكسوا في مسائلكم ، ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ، ولم يجسر على مثله . .

ثم قال : { وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِهَا } أي : وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن يباشر عليها ، ولا تعكسوا ، والمراد وجوب توطيء النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال ا حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ، ولا اعتراض شك في ذلك ، حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمفارقة الشك { لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ } . انتهى كلامه . .

وحكى هذا القول مختصراً ابن عطية ، فقال : وقال غير أبي عبيدة : ليس البرّ أن تشذوا في الأسئلة عن الأهلة وغيرها ، فتأتون الأمور على غير ما تحب الشرائع ، أنه كنى بالبيوت عن النساء الإيواء اليهنّ كالإيواء إلى البيوت ، ومعناه : لا تأتوا النساء من حيث لا يحل من ظهورهنّ ، وآتوهنّ من حيث يحل من قَبُلهنّ . قاله ابن زيد ، وحكاه مكي ، والمهدوي عن ابن الأنباري . .

وقال ابن عطية : كونه في جماع النساء بعيد مغير نمط الكلام ، انتهى . .

والباء في : بان تأتوا زائدة في خبر ليس ، وبأن تأتوا ، خبر ليس ، ويتقدّر بمصدر ، وهو من الإخبار بالمعنى عن المعنى ، وبالأعرف عما دونه في التعريف ، لأن : أن وصلتها ، عندهم بمنزلة الضمير . .

وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، والكسائي ، وقالون ، وعباس ، عن أبي عمرو ؛ والعجلي عن حمزة ؛ والشموني عن الأعشى ، عن أبي بكر : البيوتِ ، بالكسر حيث وقع ذلك لمناسبة الياء ، والأصل هو الضم لأنه على وزن فعول ، وبه قرأ باقي السبعة و : مِنْ ، متعلقة : بتأتوا ، وهي لابتداء الغاية ، والضمير في : أبوابها ، عائد على البيوت . وعاد كضمير المؤنث الواحدة ، لأن البيوت جمع كثرة ، وجمع المؤنث الذي لا يعقل فرق فيه بين قليله وكثيره ، فالأفصح في قليله أن يجمع الضمير ، والأفصح في كثيره أن يفرد . كهو في ضمير المؤنث الواحدة ، ويجوز العكس . وأما جمع المؤنث الذي يعقل فلم تفرق العرب بين قليله وكثيره ، والأفصح أن يجمع الضمير . ولذلك جاء في القرآن : { هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ } ونحوه ، ويجوز أن يعود كما يعود على المؤنث الواحد وهو فصيح . .

{ وَلَاكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى } التأويلات التي في قوله : { وَلَاكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءامَنَ } سائغة هنا ، من أنه أطلق البر ، وهو المصدر ، على من وقع منه على سبيل

المبالغة ، أو فيه حذف من الأوّل ، أي : ذا البرّ ، ومن الثاني أي : بر من آمن . وتقدّم الترجيح في ذلك . .

وهذه الآية كأنها مختصرة من تلك لأن هناك عدّ أوصافاً كثيرة من الإيمان باﷲ إلى سائر تلك الأوصاف ، وقال في آخرها : { أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } وقال هنا : { وَلاكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى } والتقوى لا تحصل إلاَّ بحصول تلك الأوصاف ، فأحال هنا على تلك الأوصاف ضمناً إذ جاء معها : هو المتقي . .

وقرأ نافع ، وابن عامر بتخفيف : ولكنّ ، ورفع : البرّ ، والباقون بالتشديد والنصب . .

{ وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِهَا } تفسيرها : يتفرّع على الأقوال التي تقدّمت في قوله : { وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا } . .

{ وَاتَّقُواْ اللَّهَ } : أمر باتقاء اﷲ ، وتقدمت جملتان خبريتان وهما { وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلاكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى } فعطف عليهما جملتان أمريتان الأولى راجعة للأول ، والثانية راجعة للثانية ، وهذا من بديع الكلام . .

ولما كان ظاهر قوله : من اتقى ، محذوف المفعول ، نص في قوله : واتقوا اﷲ ، على من يتقى ، فاتضح في الأول أن المعنى من اتقى اﷲ . .

{ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ظاهره التعلق بالجملة الأخيرة ، وهي قوله { وَاتَّقُواْ اللَّهَ } لأن تقوى اﷲ هو إجماع الخير من امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فعلق التقوى برجاء الفلاح ، وهو الظفر بالبغية . .

{ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } الآية . قال ابن عباس : نزلت لما صدّ المشركون رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلم) عام الحديبية ، وصالحوه على أن يرجع من قابل فيحلوا له مكة ثلاثة أيام ، فرجع لعمرة القضاء ، وخاف المسلمون أن لا تفي لهم قريش ، ويصدوهم ، ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام ، وكرهوا ذلك ، فنزلت . وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم وفي الشهر الحرام ، ورفع عنهم الجناح في ذلك ، وبذكر هذا السبب ظهرت مناسبة هذه الآية لما قبلها ، لأن ما قبلها متضمن شيئاً من متعلقات الحج ، ويظهر أيضاً أن المناسب هو : أنه لما أمر تعالى بالتقوى ، وكان أشدّ أقسام التقوى وأشقها على النفس قتال أعداء اﷲ ، فأمر به فقال تعالى : { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } والظاهر أن المقاتلة في سبيل اﷲ هي الجهاد